أوغست كونت - Auguste Comte
(1857-1798)

لمحة موجزة عن حياته:

ولد أوغست كونت في مونبلييه بفرنسا سنة 1798 من أسرة كاثوليكية شديدة التدين وكان موهوبا في العلوم الرياضية فالتحق بمدرسة الهندسة بباريس في السادسة عشرة، وهي مدرسة أنشأتها الثورة الفرنسية، وكانت ميالا للإطلاع وخاصة في الكتب الفلسفية.

إتصل مع زملائه من مدرسة الهندسة بـ"سان سيمون" وحضر مناقشاته وانبهر بأفكاره التقدمية فعمل سكرتيرا له في 1817، ولكنه لم يستمر معه أكثر من 04 سنوات ثم انفصلا بسبب تقديم "سان سيمون" للإصلاح الاجتماعي على الإصلاح العلمي، فـ"كونت" كان يرى العكس، إذا كان يعتقد أن الإصلاح العلمي هو الأول، لأنه الخطوة الأولى للإصلاح الاجتماعي الذي كان موضع اهتمام "سان سيمون وأتباعه وسائر المصلحين، بسبب الفساد الذي انتشر في فرنسا آنذاك، فلم يكن "كونت" مستعدا للتنازل عن رأيه فاعتزل أستاذه وأعلن أراءه في عدة مؤلفات.

مؤلفاته:

- 1822 **مشروع الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع.**
- 1842-1830 **دروس في الفلسفة الوضعية.**
- 1842 **دروس في الروح الوضعية.**
- 1854-1851 **مذهب في السياسة الوضعية.**
- 1852 **التعليم الديني الوضعي.**

ظهور علم الاجتماع:

يقول أوغست كونت: (لدينا فيزيقا سماوية، وفيزيقا أرضية ميكانيكية أو كيميائية، وفيزيقا نباتية، وفيزيقا حيوانية، ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزيقا هو الاجتماعية، حتى يكتمل نسقنا المعرفي عن الطبيعة، وأعنى بالفيزيقا الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا لدراسته باعتبار هذه الظواهر من نفس طبيعة الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفيسيولوجية من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة).

لذلك كان أول اسم أطلقه كونت على العلم الجديد هو "علم الطبيعة الاجتماعية = الفيزياء الاجتماعية = physique social" **ثم أسماه بعلم الاجتماع** sociology.

فقيام علم الاجتماع في عصر "كونت" جاء كضرورة اجتماعية وحاجة علمية ملحة حتمتها الرغبة في إصلاح المجتمع الذي هزته الفلسفات النقدية والحركات الثورية وإنقاذه من الفوضى الضاربة فيه، ذلك أن حالة المجتمع الفرنسي بعد الثورة اتسمت بـ :

-فوضى عقلية فاضطراب خلقي وفساد عام.

لذلك أكد أن تنظيم أي شأن من شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين لن ينجح إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومناهج البحث وطرق التفكير، وذلك بتبني واتباع خطوات الفلسفة الوضعية الواقعية، وأن الفلسفة يجب أن تكون وسيلة لغاية أو منفعة عملية اجتماعية هي إعادة تنظيم المجتمع الفرنسي

والأوربي، وذلك لا يتحقق إلا بتنظيم العقل (الفكر)، بمعنى لابد من تنظيم عقلي للآراء والأفكار والابتعاد عن الفوضى الفكرية أو العقلية التي تقود بالضرورة إلى الفوضى الاجتماعية.

ماهية فوضى العقل:

وهي تنتج عن تناقض أسلوبين من التفكير (الوضعي والميتافيزيقي) وكذا في فهم ومعالجة الظواهر، كمايلي:

أن العلماء والفلاسفة يتبعون التفكير العلمي عند دراسة ومعالجة الظواهر الطبيعية والبيولوجية.

لكنهم يتبعون التفكير الميتافيزيقي واللاهوتي عند دراسة ومعالجة الظواهر الإنسانية والاجتماعية.

والنتيجة: أن "كونت" يرى بأن ذلك يشكل تناقضا أساسيا في فهم ظواهر الكون والحياة، وهذا التناقض يؤدي إلى فساد في الخلق وفساد في السلوك، وبالتالي فساد في التنظيم الاجتماعي.

كيفية القضاء على فوضى العقل وإصلاح المجتمع:

للقضاء على الفوضى العقلية والاجتماعية والأخلاقية وتحقيق الإصلاح المنشود، إرتأى "كونت" ضرورة تعميم المنهج الوضعي وجعله منهجا كليا عاما وشاملا لكل ظواهر الكون [وحدة المعرفة الوضعية].

ومن استحقاقاته القضاء على ما تبقى من الفكر الميتافيزيقي ومظاهره، وأن يفهم الأفراد ظواهر الاجتماع إعتمادا على المنهج الوضعي بما في ذلك ظواهر الإنسان والمجتمع التي كانت تستبعد من التحليل الوضعي قبل أوجست كونت.

فالتنظيم العقلي حسبه هو في حقيقة الأمر تكوين منهج علمي يسير العقل على خطواته، وبمعنى آخر خضوع جميع الظواهر مهما كانت طبيعية أو اجتماعية للمنهج الوضعي، فكما أن للظواهر الطبيعية قانون علمي يحكمها، كذلك وبالضرورة للظواهر الاجتماعية والإنسانية قانون علمي يحكمها.

فما هي الفلسفة الوضعية ؟

تمثل المرحلة الثالثة للفلسفة العامة التي مرت بمراحل ثلاث (أو قانون الأحوال الثلاث-أو نظرية التقدم الإنساني): فيرى أن التقدم الإنساني لا يمكن أن يحصل إلى بالمرور بالمراحل الثلاث.

اللاهوتية – الميتافيزيقية – الوضعية (العلمية).

أ.الدور اللاهوتي:

يقصد فيه كونت أن العقل سار على أساس التفسير الديني، فقد كانت الظواهر تفسر بنسبتها إلى قوى مشخصة ابعد ما تكون عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين وما إلى ذلك كتفسير ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله عز وجل أو إلى أرواح النبات وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

ب.الدور الميتافزيقي (الفهم التجريدي):

في هذا الدور نسب تفسير الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل لا يمكن إثباتها كتفسير نمو النبات بقوة أرواح النبات.

ج.الدور الوضعي (العلمي):

الدور العلمي هو أن يذهب العقل في تفسير الظاهرة بنسبتها إلى قوانين تحكمها وأسباب مباشرة تؤثر فيها كتفسير ظاهرة النمو النباتي بالعوامل الطبيعية والكيميائية والقوانين المؤلفة لهذه الظاهرة.

شروط فهم الظواهر على الطريقة الوضعية:

هنـاك شرطـان:

الأول/ أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين بحيث لا تسيرها الأهواء والمصادفات.

وهذا شرط متوفر في الظواهر الاجتماعية كون المجتمع جزء من الطبيعة الكلية كما أن جميع نواحي الطبيعة خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها. [وهذه إحدى جواهر الصراع بين علماء الاجتماع حول وجود قوانين للظاهرة الاجتماعية أم لا ؟]

الثاني/ هو معرفة الناس لقوانين الظواهر.

وهو أمر لا يتوفر إلا اعتمادا على الدراسة الوضعية عبر باحثين مهمتهم الكشف عنها. وهذه مسألة تتطلب قيام علم جديد وهو علم الاجتماع.

موضوع علم الاجتماع:

حينما أطلق "كونت" على العلم الجديد إسم السوسيولوجيا أو علم الاجتماع، أشار إلى أن موضوعه الرئيسي هو دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة نظرية مجردة، كما قرر أن موضوع الاجتماع شامل يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه، ويؤكد أن الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع، وأنها هي الحقيقة الجديرة بالدراسة العميقة والبحث والكشف عن قوانينها التي تحركها وتشكلها وتعطيها أنماطا مختلفة.

إن الإنسانية كموضوع لعلم الاجتماع يدرسها كونت في حالتين :

الحالة الأولى: الديناميك أو التحول الاجتماعي (social static)

في هذه الحالة تهتم السوسيولوجيا بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها. أي دراسة الاجتماع الإنساني برمته وانتقاله من حال إلى حال. هذه الحالة تقوم على أساس فكرة التطور والتقدم.

الحالة الثانية: الستاتيك أو الاستقرار الاجتماعي (social dynamic)

موضوعها هو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها في فترة معينة من تاريخها، وكذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزيئاته وفي نظمه وقواعده السياسية والاقتصادية والأخلاقية والدينية... وفي عناصرها ووظائفها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن بين النظم الاجتماعية (فكرة التضامن والنظام).

منهج البحث العلمي عند "أوغست كونت":

إن التفكير الوضعي عند "كونت" يتطلب مناهج وأدوات حتى يتم التوصل إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية، وتتمثل فيمايلي:

1. الملاحظة: ويقصد بها "كونت" ضرورة النظر للحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وعن شعورنا الفردي والذاتي، وقد يكون ذلك بالإدراك المباشر للظاهرة، وكذا دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية والإنسانية.

2. التجربة: ويقصد بها التجربة الاجتماعية وتقوم على مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في حالة واحدة، كما يحدد التجربة الاجتماعية غير المباشرة، وهي موقف معملي توفره الطبيعة الاجتماعية ويمكننا من دراسته، ويمكن أن يمدنا بقوانين اجتماعية.

3. المنهج المقارن: وذلك من خلال مقارنة المجتمعات الإنسانية ببعضها البعض، وذلك لمعرفة التشابه والإختلاف كالمجتمع الزراعي والمجتمع الصناعي، وذلك قد يمكن من تحديد قانون التقدم.

4. المنهج التاريخي: يقصد به الكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري، من خلال دراسة المجتمعات للوصول إلى قوانين حول ذلك.